(من معاني استشهاد الشيخ أبو مصعب الزرقاوي)

للشيخ عطية الله (حفظه الله)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وآله وصحبه وجنده، وبعد:

فإن لله ما أخذ وله ما أبقى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى،

والحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرا منها.

نعزّي أنفسنا وأنفسكم ونعزي الشيخ أبا عبد الله أسامة بن لادن والشيخ أيمن الظواهري، والملا أمير المؤمنين محمد عمر مجاهد، والملا داد الله وسائر إخوانهم من قيادات المجاهدين، بمقتل أخينا وحبيبنا الشيخ المجاهد فارس الإسلام ومجدد بطولات أهل الإيمان، القائدة الفاروق الفذ الفرقد، نسيج وحده وفريد عصره: أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله تعالى وأعلى درجته في الفردوس الأعلى.

ونعزي أهله وذويه، وكل أحبابه والمسلمين جميعا في فقده..

ونعزّي إخوانه في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين وفي مجلس شورى المجاهدين، وجميع إخوانه وأحبابه المجاهدين معه في العراق من سائر الجماعات المجاهدة.

ونخصّ بالتعزية خليفته من بعده، وفقه الله وسدده.

ثم أما بعد،

فنعم أيها الإخوة الأحباب، إن مصابنا بأبي مصعب مصاب جليل، وإن فقده والله لعزيز وعظيم.



وإننا لمحزونون حقا، ولكن لا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل، ومستمسكون بشعيرة الصبر والرضى، راضون بقسمة الله تعالى، عازمون على المضيّ في طريق الله التي منّ الله علينا بالهداية إليها والدلالة عليها والتوفيق لسلوكها.

لا نقيل ولا نستقيل..

بل والله جهادٌ وتوكل على الله على آخر رمق، وغدا نقلى الأحبة محمداً وصحبه.

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} [الأحزاب:٢١].

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [الأحزاب:٢٣-٢٤].

أول الواجب هو الصبر والرضى والتسليم لأمر الله تعالى، وأن نعلم أن هذا الأمر وكل أمر قضاه الله تعالى للمؤمنين فهو خير وإحسان ورحمة وصلاح وحكمة، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى".

قال الله تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن:١١].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" رواه مسلم.



ولنذكر مصيبنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أوصانا صلى الله عليه وسلم –إذا صحّ الحديث–: "إذا أصابت أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي" رواه الطبراني وغيره.

فقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ثم أبو بكر، وقتل عمر في المحراب،
وقتل أهلُ الفتنة والفساد عثمانَ ،
وظفرت كلاب المجوس بعليّ،
رضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين.

وقتل حمزة بن عبد المطلب،
ومصعب بن عمير، وسعد بن معاذ،
وقتل الحسين ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وأبطال الصحابة والتابعين، قبلا وبعداً..
وأبطال سائر المسلمين، على مرّ الأعصار..

وفي عصرنا الحديث؛ الشيخ عبد الله عزام، وأبطال أفغانستان كثير، وخطاب وأبو الوليد، وأبو حفص المصري (الكومندان) وصحبه الذين معه، وكانوا كوكبة مجتمعة نكبَ بهم أهل الإسلام والجهاد، لا يعرف مداها إلا من عرفها.

وقتل أبو عبد الله أحمد في الجزائر وقبله القاري سعيد، وأبو عبد الرحمن المهاجر قريبا، وفي فلسطين شهداء رجالات وأبطال سجلوا بدمائهم أسماءهم في هذا الكتاب: الشيخ ياسين والقائد الرنتيسي ويحيى عياش وغيرهم وغيرهم.

إنها طريق واحدة، وقصة متكرره متجددة، لكنها لا تُمـــل، وهذا من العجائب..!
إنها قصة خاتمتها تلك الصرخة المدوّية النديّة: "فزتُ بها وربّ الكعبة".

نهاية سعيدة لصاحبها..
مع ما فيها من ألم لناظرها وسامعها.

لكنه ألم مؤقت طبيعيّ، وحين يخلط بالأمل والرجاء المنبعث من آثار الشهداء لا يلبث أن ينقلب رحيقا وشهداً، فالحمد لله.

أبو مصعب واحد من هذا الركب وهو [illegible] الطويلة، وهذا الموكب الممتد.!
نحسبه كذلك والله حسيبه.

ولنعلم أن استشهاد أبي مصعب –إن شاء الله– هو: نور ونارٌ.

نور يضيء الطريق لمن وراءه..
ونار يحرق الله بها أعداء الله.

وهكذا هي الشهادة، ولا سيما للعظماء الأبطال القدوات، أهل الفضائل والبلاء الحسن في الإسلام، أهل الصدق والإخلاص والبذل في سبيل الله.

وهذا هو المعنى الذي عبّر عنه خبيب بن عدي رضي الله عنه حين قال:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع**



وقال شوقي:

وفي القتلى لأقوام حياةٌ * وفي الأسرى فدىً لهمُ وعتقُ**

وللحريّة الحمراء بابٌ * بكل يدٍ مضرّجةٍ يُدَقُّ**

تصوّرا أيها الإخوة أنه لا يوجد لدينا شهداء، لا حمزة بن عبد المطلب، ولا الحسين، ولا سعيد بن جبير، ولا عمر المختار ولا عز الدين القسام ولا عبد الله عزام ولا غيرهم..

كيف يكون حالنا؟
وكيف يمكن للأمة أن تحيى بدون شهداء..؟
وكيف يمكن للأجيال أن تتربّى

ومبارَكة الله تعالى على أشلاء وأوصال ودماءِ النب[illegible] لطيف من المعاني التي يدركها أهل الإسلام والإيمان، لتنوّر قلوبهم بمعرفة الله تعالى ودينه، وتخفى على المنافقين والكفرة وأهل الفجور، لظلمة قلوبهم وتغطيتها بالران من معاصي الله، بل تغلّفها بها..!

من البركات أن يُسلم أناسٌ، ويتوب أناسٌ، ويظهر رجالٌ، وينشأ جيل على حب الجهاد والشهادة والرجولة والبطولة والعزة والكرامة، وأن ينتشر المنهج ويعلو ويظهر، وتلين

قلوبٌ، وتزول عقبات، وربما حصل بعد استشهاده –رحمه الله– ما كان يتمناه ويرجوه ويعمل له ولم يستطعه لسبب من الأسباب الطبيعية أو غيرها.

فنحن نؤمن بالبركة ونرجوها.

انظروا –يا رعاكم الله– إلى تلك الأفراح والدعايات البالغة والتشهير الذي يقوم به النصارى واليهود والرافضة، وما يظهرونه من الشماتة بمقتل الشيخ أبي مصعب.

هو يظنون أن هذا بالنسبة لهم انتصار عظيم جدا..!

لكن عند التحقيق بالنسبة لأهل الإيمان فإن [illegible] هو [illegible] لهم وعائد عليهم ضرره، وهم لا يشعرون.

فهم ينشرون اسمه ويرفعون ذكره ويعلون قدره ويذكرون بآثاره ويشهّرون به وبمنهجه، وهم لا يشعرون..!

الرافضة مثلاً.. أبو مصعب رحمه الله كان له نظر استراتيجي أن أهل السنة لابد أن يدخلوا المعركة مع الرافضة، كان يرى [illegible] يكون هناك بقاء لأهل السنة لا في العراق ولا فيما جاورها ما لم يدخلوا المعركة [illegible] زالوا [illegible] امّحوا..!

قيل له: دون ذلك مجازر ومسالخ وأهوال وفظائع يا ابا مصعب..!!
قال نعم، والله إني لأعرف ذلك وأراه رأي العين.

ولكني أوقن أن كل ذلك لن يكون سوى قطرة في بحر ما سيدفعه أهل السنة من ضريبة من دمائهم ونفوسهم وشرفهم وأعراضهم وأملاكهم في حال أنهم وهنوا لما أصابهم واستكانوا وخضعوا وخنعوا ورضوا بالذلة وخافوا المعركة..!!

فقال قولته الواثقة: **لابد من أن يدخل أهل السنة المعركة**، وقال: **لسنا نحن –مع ذلك– من بدأ المعركة، بل والله إن الرافضة هم الذين بدأوها وأوقدوا نارها، وهم سائرون في حربنا بلا هوادة، لكن الدولة لهم اليوم، والصليب حليفهم، والمرتدون إخوانهم، وأهل السنة كالأيتام على مائدة اللئام..!!**

فلا بقاء لأهل السنة إلا أن يدخلوا المعركة، ويتحملوا..!!

وكل ما يصيبهم في المعركة هو أهون بكثير بكثير مما سيدفعونه إن هم أحجموا وجبنوا.!

هذه فلسفة الشيخ ونظرته، وهي من العمق والقوة بمكان.

فالرافضة اليوم ماذا يفعلون؟

يزيدون بجهلهم وغرورهم وحقدهم الذي لا يستطيعون بأي حال أن يخفوه – يزيدون من تثبيت نظرية أبي مصعب وترسيخها وتركيز تأصيلها والدفع في اتجاهها.

فسترون إن شاء الله القادم بإذن الله من نهضة أهل السنة وشبابهم في العراق ومحيطه وفي كل مكان، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون.

والشهادة سمّيت شهادة والشهيد سمّي شهيداً لأسباب ومعانٍ كثيرة كما ذكره أهل العلم: منها الراجع إلى الفاعلية ومنها الراجع إلى المفعولية، وكلاهما في الدنيا وفي الآخرة.

لأن لفظ شهيد، فعيلٌ، وفعيل في لغة العرب إما أن يكون بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول.

وكلاهما في لفظ الشهيد محتمل منصورٌ..

فالشهيد يشهد على عظمة هذا الدين وأنه الحق الذي يستحق أن تبذَل فيه الدماء وتزهَـــق من أجله الأرواح، ويُضحّى من أجله بكل رأس المال، وهو وجود الإنسان نفسه وحياته في هذه الدار الدنيا، وأنه أعز وأغلى من كل شيء.

فالشهيد يشهد أعظم شهادة يمكن أن يشهدها بشرٌ بعد الأنبياء بأن الله حق وأن دين الله حق وأن أنبياء الله ورسله حق، وأن الجنة حق وأن النار حق..!

والشهيد يشهد يوم القيامة على نفسه بدمائه وجراحه وتلفه وعطبه في سبيل الله، يوم يكون اللون لون الدم والريح ريح المسك.

والشهيد يشهد مع الشهداء يوم القيامة بصدق الرسل وأنهم بلغوا وأدوا الأمانة ويشهد على من شاء الله بالإيمان وهو المعنى المتضمّن في الشريعة التي خصه الله بها.

والشهيد مشهود له من قبل الله تعالى بأنه من الأخيار وأنه ناج مفلح رابح فائز..

ومشهود له من قِـــبَل دمائه وجراحه وقراحه وتلفه وعطبه في سبيل الله، كما مرّ.

ومشهود له من قبل الملائكة والرسل وصالحي المؤمنين.
ومشهود له في الدنيا من قبل المؤمنين بالثناء عليه خيرا.
وغير ذلك من المعاني..

وبالجملة، فإن الشهادة شيء عجيب، يصعب على الإنسان أن يوفيها حقها بالكلام.

ويكفي أن علماءنا رحمهم الله صرّحوا بأنهم لم يرد في الكتاب والسنة من النصوص في فضل شيء وبيان عظم مترلته ومدحه والحث عليه من الأعمال كما ورد في الجهاد والشهادة في سبيل الله، وهذا واضح لمن تدبّر القرآن والسنة، والحمد لله.

ونرجع للكلام على أبي مصعب رحمه الله.



فأبو مصعب شهادته شهادة عظيمة بعد البلاء الحسن الذي أبلاه، وبعد الجهاد العظيم الذي قام به، وقد شهد له المسلمون وعموم أهل الأرض بأنه من الأبطال، وأنه كان رأس من تصدوا لأعتى قوة بشرية كافرة ظالمة باغية في التاريخ ودوّخوها وأذاقوها ألوان العذاب.

وأبو مصعب داعية حق وهدى..
ومعلّم جيل..
ومنارة من منارات أهل السنة والتوحيد، والكفر بالطاغوت.

فثبات مثله على طريقه ومنهجه وتضحيته بنفسه في سبيله، هذا شيء عظيم ليس بالسهل.

إنه يحيي أمة بكاملها.

فسوف ترون إن شاء الله، وسوف يرى أعداء الله، أعداد اللاحقين بموكب الجهاد المبارك بعد أبي مصعب، وسوف نرى ويرون الصحوة والنهضة والبعثَ الجديد في شبابنا.

فانتظروا، إنا منتظرون..!

ومن المعاني في مثل هذه الشهادة:

أن يبتلي الله من بقيَ منا، وينظر من يثبت ومن ينهزم، ومن يتعلق بالله تعالى وبالمنهج، ومن يكون تعلقه بالأشخاص، فيزول بزوالهم، وهذه من الفتنة والابتلاء المراد لله سبحانه وتعالى.



قال الله عز وجل: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران:١٤٤].

وقال: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٥٢]

وكما قال أنس بن النضر رضي الله عنه حين أشيع في أحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل: "...قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ومنها: الابتلاء والامتحان والتكليف للخلق جميعاً مسلمهم وكافرهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات صباح على أثر مطرٍ: "أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر" الحديث.

فينظر الله تعالى من يقول الحق والخير ويكون مع الحق، ومن هو بضد ذلك.

ومنها: الرحمة واللطف من الله تعالى بعباده المؤمنين، أنه يربّيهم بالسراء والضراء، وبالأخذ والعطاء، وبسائرأسباب التربية من حكمته ورحمته، فيجدد لهم العهد بمعاني الشهادة والثبات والنصر بالموت على هذا الدين، وهو الانتصار الحقيقي، وينوّع لهم الصور والآيات والبراهين والبينات.

وأكثر من ذلك وألطف أنه ينوّع لهم وجوه القادة والأبطال ويجددها لهم، فلا يملّوا ولا يطغوا..!

فلله الحكمة البالغة.

ومنها: أشياء أخرى كثيرة تُعرف بالتأمل، لعل من أهمها: أن يكبت الله تعالى الكثيرين من أعداء الجهاد والمجاهدين، أعداء دعوة التوحيد والسنة، ويفضح خورهم وجبنهم وخنوثتهم والعياذ بالله، ويصيبهم الله تعالى –رغم الفرح الذي يظهرونه– بالهزيمة النفسية والخيبة والشعور بالدونية والحقارة يلازمهم حتى يتوبوا أو يموتوا، وهم ينظرون إلى هذه الشهادة العظيمة وهذه المنزلة الرفيعة التي تبوأها الشهيد ومحبة الناس له وثنائهم عليه، فيكادون يتميّزون من الغيظ، ويموتون من الحسرة...!

ثم أيها الإخوة:

لا بد أن نستعين بالله تعالى ونتوكل عليه، ونعتصم به عز وجل، فهو مولانا وناصرنا، نعم المولى ونعم النصير.

{بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} [آل عمران:١٥٠]
{أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة:٢٨٦].
{وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الأنفال:٤٠]

{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الحج:٧٨]

فاثبتوا واصبروا وصابروا، واعتصموا بالله واستعينوا به.



{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠].

ولا تظنوا بالله ربكم إلا الظن الحسن..!

واستيقنوا أن هذا كله خير وبركة ورحمة وإحسان من ربكم عز وجل.

ونحن تعلّمنا من تجاربنا –بفضل الله تعالى– أن لا نيأسَ أبداً..

وأنا شخصيا قد مررتُ بتجربة صعبة في الجزائر وخرجتُ منها ناجيا بجلدي وقد ظننتُ أن لا تقوم للجهاد في الأمد المنظور في حياتي قائمة، وكدتُ أيأس، وأصابني من الحزن والهم والكآبة وما يشبه القنوط [illegible]..!!

لولا أن الله تعالى عصمني بشيء من التثبيت وأنعم بصحبة الإخوة، وبالتأسي بأهل السابقة والخير، وبالانشغال بالتأمل لهذه التجربة الكبيرة وما كان فيها من العبر، ولطف بي بما أراني من بوارق الأمل والرجاء.

فما إن خرجتُ حتى لاحظتُ في مشرق الأرض أحداث الشيشان وتدفّق المئات من شباب الإسلام عليها، وكانت للتو قد بدأت معركتها الثانية بعد دخول خطاب رحمه الله

لداغستان، ولاح لي أملٌ في أفغانستان من جديد بظهور طالبان، وعودة الشيخ أسامة وأصحابه من السودان إليها، وتجمّع المجاهدين من جديد، فما لبثت أن عادت لي الحياة، وطردتُ عني اليأس، وتعلّمت أن لا أيأس أبدا، وأنه {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} و {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} وأن الله هو الفتاح العليم، وهو نعم المولى ونعم النصير.

فيا أيها الإخوة إياكم واليأس والقنوط..



واعتصموا بالله..

اعتصموا بالله..

{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف:١٢٨]

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٧٣-١٧٥]

والثبات الثبات..

"ومن يتصبّر يصبّره الله"

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} [الأنفال:٤٥]

واعلموا أن النصر مع الصبر، وأن النصر صبرُ ساعة..
نحن نصبر ونصابر، وعدوّنا كذلك يصبر ويصابر..

والمصابرة مفاعلة من الصبر فهي مضارعة ومسابقة في الصبر أيهما يصبر أكثر ويغلب صاحبه بالصبر، فالذي يصبر أكثر هو الفائز الغالب المنتصر..!

ونحن عندنا من أسباب الصبر ومقوّماته وعوامله ما يزيد على عدوّنا بكثير.



كما قال الله تعالى حاكياً عن الخضر أنه قال لموسى عليه السلام: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً}

فالإحاطة خُـــبراً بالشيء الذي تعمله يعينك على الصبر..

ونحن نعلم أننا على الحق..
ونعلم ما أعد الله لنا إذا صبرنا وثبتنا..
ونعلم عظيم المنزلة التي ينالها الصابرون منا العاملون هذا العمل الصالح.

فكيف لا نصبر وكيف لا نصابر عدوّنا و[illegible]؟!
وعدوّنا خواء هواء ليس عنده شي[illegible]، أحـ[illegible]

نسأل الله أن يقوّينا وجميع المسلمين، وأن يهيء لنا من أمرنا رشدا.

وأنبّه إلى بعض المعاني الأخرى في استشهاد حبيبنا الشيخ أبي مصعب:

فمن ذلك: أن الله تعالى -بلطفه ورحمته وعظيم إحسانه ومنته- حفظ جثمانَ أخينا الشيخ وسلّمها من التبخّر والذوبان والتحلل والزوال، رغم أن البيث الذين كان فيه مع صحبه قد قال العدوّ الصليبيّ إنه قصفه بقنابل عظيمة جدا.

ومن مكر الله تعالى بأعدائه أن جعلهم ينشرون صورة الشيخ بعد مقتله، ويظهرون للعالم جثته سالمة، عليها النور يراه المؤمنون ويهابه الكافرون، ويُكبَت به المنافقون..!



وهذا والله لطف ورحمة كبيرين من ربنا عز وجل.

وآية من آياته جل وعلا..!

{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: [illegible]]

{وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: [illegible]]

فلو لم توجد جثته لظهر المنافقون المتخرّصون الأفّـــاكون من بني جلدتنا قبل أعدائنا ليقولوا إن هذه كلها مسرحية، وإن الأمر غامض، وإنه لا يُدرى هل قتل أبو مصعبٍ حقا أو لا، وأن الأمريكان فعلوا وفعلوا، وأن اليهود خططوا، وأن أبا مصعب كذا وكذا، مما تتيحه لهم خيالاتهم الشيطانية، ومما يناسب نفوسهم الخبيثة الغويّة، ولرأيتم حينها التحليلات المتخرّصة البهيمية الا[illegible] ال[illegible]، قاتل الله أصحابها الأغبياء، الذين هم أغبى من رأيت من أصناف البشر.

ومن ذلك أن بعض الإخوة قد يظن أن مقتل الشيخ أبي مصعب كان بسبب خطئه في ظهوره في الشريط المرئي الذي ظهر فيه قبل مقتله بنحو الشهر، وكان هذا فتنة لبعض الناس أيضا، فكثرت التحليلات حوله، فمنها المصيب شيئا من الحق ومنها الهائم في أودية الخطا.!!

وكون ذلك كان من أسباب قتله أو لم يكن، الله أعلم، ليس هذا بالأمر المهم جدا..

فالله قد جعل لكل شيء سببا..
وجعل لكل شيء قدرا، وأجلا..

لكن المهم هو الكلام على من انتقد الشيخ في ظهوره وعدّ ذلك من الأخطاء.!!

فهذا عندي غير صحيح ولا سديد..

بل لابد للجهاد ودعوته المباركة ومسيرته الميمونة أن يكون لها رجال بارزون يظهرون يعرفهم الناس، ويعرفون حسبهم ونسبهم وشخوصهم وصورهم، ولا سيما إن كانت لهم مواهب وقدرات يستعملونها في نصرة دين الله تعالى وإعلاء كلمته، ولهم "كارزميّة" وجاذبية يستعملونها في أعلى مقامات الطاعة لله تعالى والدعوة إليه.. ولابد لمثل هؤلاء الرجال أن يخاطروا بأنفسهم ويضحّوا ويتقدموا للفداء، إنه موقف الفداء، إنه موقف الغلام، ليقول الناس آمنا برب الغلام، إنه مقام البذل العظيم في سبيل الله.. أتظنون أنه مقام سهل؟ أو تظنون أنه يقدر عليه كل أحد؟!

لابد أن يكون لدعوة الجهاد أمثال أبي مصعب..

وبإمكانكم أن تتصوروا أنه لم يكن..!

وتتخيّلوا أن قيادات المجاهدين ودعاتهم كلهم مجهولون غامضون غير معروفين، لا بتاريخهم ولا بأشخاصهم ولا بشيء من صفاتهم..!!

ونحن نستيقن أن أبا مصعب رحمه الله حين اتخذ قرار الظهور على الشاشة للعالم، اتخذ هذا القرار وهو يعلم عظيم خطره، وما فيه من المخاطرة البالغة، لكنه رجّح ذلك –وبالتأكيد أيضا بعد المشاورة والاستخارة التي هي دأبه رحمه الله– لما فيه من الخير ونصر الدين والدعوة إلى الله، وقمع المنافقين وكبت الزنادقة، وإرهاب الأعداء، ورفع معنويات الأمة جمعاء.

ولا نشك مع كل ذلك، أن الشيخ أبا مصعب اتخذ ما بوسعه من الأسباب واجتهد.

ثم أن يصل الأعداء إليه وأن تظفر به كلاب الأعادي، فهذا ليس بالشيء الغريب أو الخارق..!!

المحارب في الميدان هو وعدوّه في محاولة وسعي وكيد ومكر مستمرّ ودائم..

يظفر هذا بهذا مرة ويظفر هذا بهذا مرة.

أنت تجتهد وتحاول..
وعدوّك كذلك يجتهد ويحاول..
قد ينجح ويصيبك في أي وقت

ويكفي أن أبا مصعب عاش في العراق التي لا جبال فيها تؤويه ولا غابات ولا أدغال، وليست في ذلك كالشيشان ولا الجزائر ولا أفغانستان.. أزيد من ثلاث سنوات وهو يقارع القوة الصليبية اليهودية العظيمة مع جميع حلفائهم وأوليائها المرتدين والزنادقة، ويذيقهم من كؤوس الردى والخزي ما أذاقهم، وهم لا يستطيعون الظفر به كل هذه المدة..!!

هذا والله يكفي فخرا لمن أراد الفخر..

ويكفي دليلا على حفظ الله لعباده المؤمنين.
ويكفي برهانا على ما أعطى الله هذا العبد من القوة والتدبير.

فالله أكبر.. ولله الحمد..

هذا ومن غريب ما رأيت بالأمس في موقع "إسلام اون لاين" عنوانا معناه أن الزرقاوي دفع حياته ثمناً للظهور الإعلامي.. والعنوان مصوغٌ بصياغة تفيد أن الشيخ رحمه الله أراد الظهور الإعلامي وحرص عليه ولو كان فيه قتله، إيحاءً من صاحب العنوان، والله أعلم، وظننا هنا مشروعٌ لدلائله- بأن دافع الشيخ للظهور الإعلامي هو حب الظهور والشهرة، ولو كان فيها تلفه وموته..!!

وإن هذا لغريب..!
وما هو بغريب..!

فإن هؤلاء القوم قد حرمهم الله تعالى من فقه هذه المعاني فهم لا يفقهون..!

{رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ} [التوبة:٨٧]

{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً} [الفتح:١٥]

ولا تستوعبها قلوبهم..

إنها فوق مستواهم بكثير..!!

فإذا كان هؤلاء هم من المنتسبين للإسلام والعلم والدعوة، فكيف بغيرهم؟!

لكن نحن نعلم أن هذه المعاني يستوعبها عامة المسلمين وبسطاؤهم وعجائزهم وأطفالهم وشبابهم أكثر وأفضل من هؤلاء.



لأن مشكلة هؤلاء هي امتلاء قلوبهم بالمعارف الفاسدة والوساوس والواردات السفسطية..!! إن مشكلتهم هي انحطاط بكل معنى الكلمة..

وأما عامة المسلمين البسطاء فتساعدهم الفطرة والنقاء وسلامة الإيمان..

وهؤلاء هم الذين نركز عليهم..
وهؤلاء هم الذين نهتم بهم ونشقى في سبيلهم، ونصبر معهم وعليهم.

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف:٢٨]

ونسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يتقبل أخانا مصعب، وأن يجعله من خيار عباده المفلحين، وأن يرحم ضعفنا من بعده، وأن يخلفنا منه خير العوض، وأن يلحقنا به ثابتين على الحق غير مغيّرين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين.. آمين.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله وصحبه والتابعين.

الجمعة ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ

٩-٦-٢٠٠٦ م

